من الجهود الصرفية ل مكي بن أبي طالب القيسي(ت437 هـ) من خلال كتابه "مشكل إعراب القرآن".

الطالب: محمد انحيب

د. إدريس بن خويا

جامعة أحمد دراية أدرار

الملخص: الإبدال و الإعلال من الظواهر المعقدة في ميدان الصرف العربي، و قد عالجها كثير من النحاة العرب القدامى بمنهج نظري صرف ، بينما عالجها مكي بن أبي طالب القيسي بمنهج تطبيقي في كتابه " مشكل إعراب القرآن"، حيث ركز على الكلمات التي أصابها إبدال أو إعلال في القرآن الكريم ، وعمل على تعليلها بناء على آراء سابقيه.

الكلمات المفتاحية

الإبدال. الإعلال. المنهج. المماثلة. المخالفة.

Résumé: L'Ibdal (la permutation des lettres) et l'Ilal (la permutation des lettres infirmes), sont considérés comme deux des phénomènes les plus compliqués dans le domaine de la morphologie arabe, ils ont été traités, selon une approche purement théorique, par beaucoup d'anciens grammairiens arabes, alors que, Mekki Ibn Abi Taleb E l-kyssi avait traité ce sujet selon une approche pratique dans son ouvrage intitulé «Problème d' Analyse Grammaticale du Coran», ou il avait concentré son analyse sur les mots qui ont subi L'Ibdal (la permutation des lettres) et l'Ilal (la permutation des lettres infirmes) dans le Livre Saint, et avait tenté d'expliquer ces phénomènes, en se basant sur les avis de ces prédécesseurs.

Mots Clés :

L'Ibdal (la permutation des lettres) – l'Ilal (la permutation des lettres infirmes) – Approche (Méthode) – Analogie – Inconsistance.

تمهيد

يتضمن كتاب "مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب القيسي الكثير من القضايا في ميدان اللغة، إلى جانب موضوعه الأساس وهو إعراب القرآن الكريم. إلا أن تركيز المؤلف على ظواهر الإبدال والإعلال كان واضحاً بعد الإعراب. فسأستعرض في هذا المقال منهج مكي بن أبي طالب في تعليل الإبدال و الإعلال في كتابه " مشكل إعراب القرآن " بحيث سأستعرض أمثلة عن آرائه في تعليل بعض الكلمات من القرآن الكريم . ولكن قبل ذلك لا بد من التعريف بالإبدال و الإعلال ثم التعريف بِكتاب "مشكل إعراب القرآن" ومحتوياته ومنهج المؤلف فيه :

1- التعريف بكتاب " مشكل إعراب القرآن":

كتاب " مشكل إعراب القرآن" من أشهر كتب أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ) ،حققه حاتم صالح الضامن من جامعة بغداد، طباعة ونشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، طبع مرتين ، واعتمدت في هذا المقال على الطبعة الثانية الصادرة سنة 1985.يتكون الكتاب في هذه الطبعة من جزأين، عدد صفحاته بالإجمال 924 صفحة.

2- محتويات الكتاب :

موضوع الكتاب نحوي و هو إعراب ما أشكل من الآيات في القرآن الكريم ؛ أي الآيات التي اختلف النحويون في إعرابها ، وصعب على العامة فهمها . كما يتضمن–أيضا – مسائل لغوية أخرى غير نحوية . و يحتوي الكتاب على مقدمة المحقق و متن الكتاب المحقق ، حيث خصص المقدمة لترجمة مكي و دراسة مصادر تحقيق الكتاب، والحديث عن الكتاب و منهج المؤلف فيه. و بحسب ما أحصيت فإن الكتاب يتضمن اكثر من ألفي مسألة إعرابية، و يتضمن ما يقارب ثلاثمائة

مسألة اخرى ما بين صرفية و صوتية من هذه القضايا: الوقف، الحذف، الجمع، الاشتقاق، الإدغام، الإبدال و الإعلال.

3- منهجه

أ – إعراب ما أشكل من الآيات القرآنية، أي الآيات التي صعب على العامة إعرابها.

ب – الاعتماد على القراءات القرآنية في إعراب الآيات مع التعليل، فقد كان مكي يورد إعراب الكلمة في الآية ، ثم يعرض ويعلّل إعرابها إن كان للكلمة أوجه عدة في قراءتها ، ونذكر على سبيل المثال قوله في إعراب الآية " إن هذان لساحران " [1]؛ إذ يقول « من رفع "هذان" جعله على لغة لبني الحاث بن كعب يأتون بالإلف على كل حال قال بعضهم : تزود منا بين أذناهُ ضربةٌ وقيل: إنَّ "أَنَّ" بمعنى نعم. وفيه بُعْد ؛ لدخول اللام في الخبر وذلك لا يكون إلا في الشعر كقوله :

أمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ * تَرْضى، مِنَ الشَّاةِ، بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ

وكان وجه الكلام" لَأُمُّ الحليس عَجُوزٌ" ، كذلك كان وجه الكلام في الآيــة إن حُمِلَــت "إنّ "على معن"نَعَمْ إن هذان لساحران" كما تقول "نَعَم لهذان لساحران" ،"نَعَمْ لمحمد رسول الله وفي تأخير اللام مع لفظ "نعم" بَعْضُ القوة على نعم. وقيل إن المبهم لما لم يظهر فيه الإعراب في الواحد ولا في الجمع جرت التثنية على ذلك ، فأتى بالإلف على كل حال، وقيل الهاء مضمرة مع "إنّ" ، وتقديره "إنه هذان لساحران" كما تقول "إنه زيد منطلق". وهو قول حسن ، لولا دخول اللام في الخبر بعده. فأما من خفف "إنّ" ، فهي قراءة حسنة ؛ لأنه أصلح للإعراب ، ولم يخالف الخط ، لكن دخول اللام في الخبر يعترضه على مذهب سيبويه ؛ لأنه يقدر أنها

---

[1]- سورة طه، الآية 63 .

المخففة من الثقيلة ارتفع ما بعدها بالابتداء ، و الخبر لنقض بنائها فرجع ما بعدها إلى أصلها ، واللام لا تدخل في خبر ابتداء أتى على أصله ، إلا في الشعر على ما ذكرنا. وأما على مذهب الكوفيين، فهو من أحسن شيء ؛ لأنهم يَعُدُّون "إنّ" الخفيفة بمعنى ما ، واللام بمعنى إلاّ. تقدير الكلام "ما هذان إلاّ ساحران" . لا خلل لهذا التقدير إلاّ ما اَدَّعَواْ أن اللام بمعنى إلاّ.»[1]

ج – الاعتماد على آراء النحاة السابقين في الترجيح للمسائل الخلافية، فكان تعليله في أكثر الأحيان يقوم بعرض آراء أيمّة النحاة كالخليل و سيبويه والأخفش و الفراء ثم يذيِّلها برأيه ؛ كأن يذهب مذهب أحد من العلماء الذين عرض آراءهم بقوله" و الأرجح ، والصحيح ، والحق ، الأرجح و الأفضل عندي وهو حسن جائز ، أو أن يفند الرأي بقوله (وهذا بعيد ، وهو بعيد ، فيه بعد ، وهو قول ضعيف ...).

د – معالجة قضايا لغوية مختلفة إلى جانب القضايا النحوية، فقد كان يتخلل إعراب ما أشكل من الآيات إشاراتٌ سريعةٌ لبعض القضايا الصرفية المختلفة .

هـ – قلة استشهاده بالشعر العربي و الأحاديث النبوية.

4- الإبدال والإعلال في كتاب "مشكل إعراب القرأن":

أشار مكي في كتابه إلى أكثر من مائة كلمة فيها إبدال أو إعلال، واعتمد في هذه المعالجة على اختلاف أوجه القراءات القرآنية ؛ فكان يورد الكلمة التي حدث فيها إبدال أو إعلال ، ثم يعرض أوجه قراءاتها المختلفة، ثم يعلل كل وجه على حدة ، لذلك نجده – في الغالب –

---

[1]- مكي بن أبي طالب القيسي(ت437ه)، إعراب مشكل القرآن، تحقيق حاتم صالح الضايع 2/466-468.

يستخدم لفظة "مَنْ" يشير بها إلى القُرَّاء ، ثم يردفها بأفعال تؤدي المعنى المطلوب كأن يقول –مثلاً –: "من فتح أو ضم أو كسر " أو" من خفّف أو شدّد".

5- تعريف الإبدال

أ – الإبدال لغة:

مصدر أبدل يبدل جاء في اللسان «... وأَبْدَلْتُ الشيءَ بِغَيْرِهِ... تَغْيِيرُهُ وإِن لَمْ تأْت بِبَدَلٍ. ...والأَصل فِي الإِبْدَال جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ كإِبدالك مِنَ الْوَاوِ تَاءً فِي تَالله،... يُقَالُ أَبْدَلْتُ الخاتمَ بالحَلْقة إِذا نَحَّيت هَذَا وَجَعَلْتَ هَذَ مَكَانَهُ. ...»[1]. يقول ابن فارس في مقاييسه: «... الباء والدال واللام أصل واحد وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال هذا أبدل الشيء وبديله. ويقولون بدلت الشيء إذا غيرته وإن لم تأت ببدل... وأبدلته إذا أتيت له ببديل...»[2].

ب – اصطلاحاً: عرفه ابن جني بقوله: «والبدل: أن يقام حرف مقام حرف. إما ضرورة، وإما استحسانا وصنعة. »[3] جاء في شرح الشافية عن ابن الحاجب قوله: «... الإِبْدالُ: جَعْلُ حَرْفٍ مَكَانَ حَرفٍ غَيْرِهِ ، وَيُعْرَفُ بِأَمْثِلَةِ اشْتِقَاقِهِ كَتُرَاثٍ وَأَجُوهٍ ، وَبِقِلَّةِ اسْتِعْمَالِهِ كالثَّعَالِي ، وبكونه

---

[1]- محمد بن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر ، بيروت (لبنان)، ط3، 1414هـ. (بدل)، 48/11.

[2]-أحمد بن فارس (ت 395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت (لبنان)، دط، 1399هـ - 1979م. (بدل)، 210/1.

[3]-عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط1 ، 2000م،83/1.

فرعا والحرف زائد كضويوب ، وَبِكَونِهِ فَرْعاً وَهُوَ أَصْلٌ كَمُوَيْهٍ ، وَبِلُزُوم بِنَاءٍ مَجْهُولٍ نَحْوُ هَرَاقَ وَاصْطَبَرَ وادَّارَكَ...»[1].

6- تعريف الإعلال:

أ – لغة: الإعلال من العلة يعني في اللغة المرض. يقول ابن فارس: « ... الْعِلَّةُ: الْمَرَضُ، وَصَاحِبُهَا مُعْتَلٌّ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: عَلَّ الْمَرِيضُ يَعِلُّ عِلَّةً فَهُوَ عَلِيلٌ. وَرَجُلٌ عُلَلَةٌ، أَيْ كَثِيرُ الْعِلَلِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ بَابُ الضَّعْفِ: الْعَلُّ مِنَ الرِّجَالِ: الْمُسِنُّ الَّذِي تَضَاءَلَ وَصَغُرَ جِسْمُهُ »[2]. وجاء في اللسان « والعِلَّة المَرَضُ. عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ أَي مَرِض، فَهُوَ عَلِيلٌ، وأَعَلَّه اللهُ، وَلَا أَعَلَّك اللهُ أَي لَا أَصابك بِعِلَّة »[3].

ب – اصطلاحا: عرفه الإستراباذي بقوله: « الإِعْلاَلُ: تَغْييرُ حَرْفِ الْعِلَّةِ لِلتَّخْفِيفِ ، وَيَجْمَعُهُ الْقَلْبُ ، وَالْحَذْفُ، وَ الْإِسْكانُ. وَ حُرُوفُه الأَلفُ ، وَالْوَاوُ، وَالْيَاءُ... اعلم أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة: أي الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف، أو الإسكان. ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة: إعلال، نحو رَاسٍ ومَسَلَةٍ والمِرَاةِ ، بل يقال: إنه تخفيف للهمزة ، ولا يقال أيضاً لإبدال غير حروف العلة والهمزة، نحو هِيَّاك وعَلِجٍّ . في إيّاكَ وعَلِيٍّ.... ولفظ القلب مختص في اصطلاحهم بإبدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض ، والمشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال في الثلاثة حروف العلة ، لأنها تتغير ولا تبقى على حال، كالعليل المنحرف المزاج المتغير حال بحال ، وتغيير هذه الحروف

---

[1]- محمد الرضي الإستراباذي(ت686هـ) شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد و آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت،دط،1975هم،197/3.

[2]- مقاييس اللغة (عل)،14/4.

[3]- لسان العرب ،(علل)471/11.

لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها ، بحيث لا تحتمل أدنى ثقل، وأيضاً لكثرتها في الكلام...»[1].

7- أمثلة عن الإبدال و الإعلال في كتاب "المشكل" :

أ- إبدال التاء دالا :

ازدادواْ:

ذُكِرَ في قوله تعالى :(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)[2].وازدادواْ فعل ماض مسند لجماعة الغائبين ، مصدره الازدياد على وزن" افتعال" من الزيادة ،والزيادة : وفرة مقدار شيئ مخصوص مثل وفرة عدد المعدود ،ووزن الموزون، ووفرة سكان المدينة[3].

و "إزدادواْ" فيها إبدال و الإبدال يقول مكي عن ذلك : « قَوْله {وازدادوا تسعا} تسعا مفعول بِهِ بازدادوا وَلَيْسَ بظرف تَقْدِيره وازدادوا لبث تسع سِنِين وَزَاد أَصله فعل يتَعَدَّى إِلَى مفعولين قَالَ الله جلّ ذكره وزدناهم هدى لَكِن لما رَجَعَ فعل إِلَى افتعل نقص من التعدي وتعدى إِلَى مفعول وَاحِد وأصل الدَّال الأولى فِي وازدادوا تَاء الافتعال وَأَصله وازتيدوا فقلبت الْيَاء ألفا »[4].

ب – إبدال التاء زايا:

المزَّمِّل:

ورد في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)[5].

---

[1]- شرح الشافية 3/67-68.

[2]- الكهف،25.

[3]- محمد شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) ،الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني ،وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،ط2 ، 1384هـ - 1964 م ،387/10 .

[4]- مشكل إعراب القرآن ،1/ 440

[5]- المزمل،1.

والمزمل اسم فاعل من تزمَّل وهو الذي تَزَمَّلَ في ثيابه أي تلفف بها. والتزمُّل مشتق من الزَّمْل بفتح و سكون وهو الإخفاء. ولا يعرف لـ"تزمَّل" فعل مجرد وفي معناه فقد اشتهر على وزن "التفعُّل" المزيد [1]. وقد قُرِئ على اربعة أوجه: المزَّمِّل قراءة الجمهور وقرئت المزَمَّل بفتح الميم المشددة، والمزمِّل بكسرها وقرأها أُبي بن كعب "المتزمِّل"[2]

والمتزمل هي أصل المزَّمِّل " أبدلت التاء زايا وأدغمت الزاي في الزاي قال مكي: «... قَوْله تَعَالَى يأيها المزمل أصل المزمل المتزمل ثمَّ أدغمت التَّاء فِي الزَّاي.»[3].

ج – الإعلال بالقلب:

قلب الهمزة ألفا:

استيئسوا: من قوله تعالى : (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)[4] .

واستيأسوا بمعنى يئسوا فالسين والتاء للتأكيد[5]، ومعنى اليأس في اللغة: نقيض الرجاء[6]، وقرئت استايسوا بقلب الألف الياء[7]. وعن هذه القراءة ، يقول مكي: «... قَوْله {استيأسوا} ويأس هُوَ كُله من يئس

---

[1]- ينظر محمد الطاهر بن عاشور ،تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر ، تونس ، دط ، 1984م، 256/29.

[2]- ينظر أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم ، معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط2 ، 1407ه -1988م.م القراءات 7 /251.

[3]- مشكل إعراب القرآن 2/ 767

[4]- يوسف،80.

[5]- ينظر التحرير و التنوير ، 39/13.

[6]- اللسان (يأس) ، 259/62.

[7]- ابن كثير, البزي ، ينظر معجم القراءات القرآنية ، 197/3.

ييأس فَأَما مَا رَوَاهُ البزي عَن ابْن كثير من تَأْخِير الْيَاء بعد ألف فَهُوَ على الْقلب قدم الْهمزَة قبل الْيَاء فَصَارَت يأيس ثمَّ خفف الْهمزَة فأبدل مِنْهَا ألفا..»[1].

د – قلب الهمزة ياء"ثب:

أئمة: من قوله تعالى :(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)[2].

وأئمة ، جمع إمام والإمام من الفعل "أمَّ" وأمَّ القوم أي " تقدمهم". وهي الإمامة والإمام " كل من إئتمَّ به قوم سواء كانواْ على الصراط المستقيم أو كانواْ ضالين " والجمع "أئمة"[3].

وقرأت أيمة بتخفيف الهمزة[4]، وأيمة بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء[5]، بقلب الهمزة ياء[6]، وأوجه أخرى[7].

وأصلها أيمة على وزن أفعلة وفي ذلك يقول مكي: «...قَوْله {أَئِمَّة الْكفْر} وزن أَئِمَّة أَفعلهُ جمع إِمَام كحمار وأحمرة فأصلها أأممة ثمَّ ألقيت حَرَكَة الْمِيم الأولى على الْهمزَة الساكنة وأدغمت فِي الْمِيم الثَّانِيَة وأبدل من الْهمزَة الْمَكْسُورَة يَاء مَكْسُورَة لِأَن حَقّهَا قبل الادغام أَن تبدل ألفا لانفتاح مَا قبلهَا إِذْ أَصْلهَا السّكُون لِأَنَّهَا فَاء الْفِعْل فَهِيَ فَاء أفعلة فأصلها الْبَدَل فَلذَلِك جرت على الْبَدَل بعد إِلْقَاء الْحَرَكَة عَلَيْهَا وَلم تجر على بَين بَين كَمَا جرت الْمَكْسُورَة فِي أئذا وأئنا وأئفكا لِأَن هَذِه حَرَكَة الْهمزَة فِيهَا

---

[1]- مشكل إعراب القرآن 1 / 391 .
[2]- التوبة، 12.
[3]- اللسان (أمَّ) 24/12.
[4]- ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف .
[5]- نافع ابو عمرو, ابن كثير, وابو جعفر و رُويس ورش. ينظر النشر في القراءات العشر 378/1.
[6]- نافع – ابن كثير- ابو عمرو.. قالون- الازرق- رويس.
[7]- ينظر معجم القراءات القرآنية ، 9/3.

لَازِمَة غير منقولة وَتلك حركتها عارضة منقولة عَن الْمِيم الأولى إِلَيْهَا فجرت على أَصْلهَا فِي السّكُون وَهُوَ الْبَدَل وَجَرت هَذِه الْأُخْرَى على أَصْلهَا فِي الْحَرَكَة وَهُوَ بَين بَين فِي التَّخْفِيف أَي بَين الْهمزَة وَالْيَاء أَعنِي فِي ذَلِك كُله على قِرَاءَة من خفف الثَّانِيَة وَلم يحققها »[1].

8- الأسباب الصوتية لحدوث الإبدال و الإعلال:

بعد دراسة مطولة للإبدال والإعلال في كتاب مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب القيسي خرجت بنتائج عامة عن الأسباب الصوتية لحدوث الظاهرتين، لخَّصْتُها في أربعة أســـباب وهي:عسر النطق و طلب الخفة والسهولة، و المجاورة الصوتية، و الميزان الصرفي، و الوقف .

أ – عسر النطق و طلب الخفة و السهولة:

إن اللغة العربية تميل إلى اليسر والسهولة والخفة في النطق ، ومن مظاهر هذا اليسر كثرة استخدام الناطق العربي للمفردة ذات الجذر الثلاثي لقصرها و سهولة النطق بها ؛ فقد تبين من دراسة إحصائية لمعجم "الجيم" لأبي عمرو إسحاق الشيباني(ت206هـ)باستخدام جهاز الحاسوب ، أن عدد الجذور الثلاثية في المعجم بلغ 2931 جذراً وهو ما نسبته 93,80% ، وعدد الجذور الرباعية بلغ 647 أي ما نسبته 17,97% ، و الجذور الخماسية 39 جذراً أي ما نسبته 1,08 % .

وتكاد نتائج دراسات إحصائية أخرى أجريت على معجم لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي(ت 1205هـ) تقارب هذه النتيجة [2].

---

[1]- مشكل إعراب القرآن 1/ 325 .

[2]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف صوتي ،أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 1998م، ص 44 .

و من مظاهر الخفة و السهولة تأليف العرب أغلب كلامهم خالياً من الأصوات المتقاربة المخارج؛ لأنها أثقل على اللسان وأعصى على السمع. ولعل السبب في عدم الجمع بين أصوات الحلق في كلمة واحدة يعود إلى تقارب مخارجها؛ فلم تأتلف في كلمة واحدة إلا مفصولاً بينها. فقد صفى الناطق العربي أبنية لغته من كل ما يخالطها من المركبات الصوتية العسيرة نطقاً ، والمكلفة جهداً؛ نتيجة اَئتلاف الأصوات وتجاورها في السياق، ولذلك تميزت اللغة العربية برشاقة ألفاظها وانسياب أصواتها[1].

و قد سلكت اللغة العربية نهجاً خاصاً للفرار من المركبات الصوتية العسيرة النطق ؛ إذ لجأت إلىَ استدعاء ظواهر صوتية معينة قصد بعث الانسجام والخفة بين الأصوات المتجاورة كظاهرتي الإبدال و الإعلال، ومن أمثلة الأصوات التي تجاورت و استثقل تجاورها نتيجة تباعد المخرج . و اًستعين بالإبدال للتخلص من هذا الثقل، ولبعث التجانس والانسجام في اللفظة تجاور الضاد والطاء و الظاء. والتاء في الصيغة التي على وزن " افتعل ". فتم إبدال التاء طاء لأن مخرجها ينسجم مع التاء. و ينسجم مع الأصوات المطبقة في الصفة. فإنه يتعذر النطق بالتاء، وأحد هذه الأصوات متجاورين نحو اطتلم ، اظتلم، اصتبر، اضتر. وعلة هذا الثقل هي تتابع صوتين متنافرين متعاكسين في الصفة ؛ فهذه الأصوات الأربعة مطبقة مستعلية مجهورة وهي صفات قوة ،بينما التاء منفتحة مستقلة وهي صفات ضعف[2].

---

[1]- ينظر مهدي بوروبة ، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في اللغة ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 1423/1422ه – 2002/2001م ، ص22.

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص 26.

و من أمثلة تتابع الصوتين المتنافرين النون عند مجاورتها للباء نحو قولنا « ...شَمْباء و عمبر و نريد شنباء و عنبر[1]، و علة هذا الإبدال هي أن النون تتسرب من الخياشيم. أما الباء فتنطلق من بين الشفتين ، لذلك تعذر على الناطقين إخراج هذين الصوتين متتالين ؛ لما بينهما من اختلاف في الخواص الصوتية ؛ إذ هما متباعدان في المخرج, و متباينان في الصفة ، فقد عمد الناطق العربي إلى إبدال النون ميما لما يربطهما من قرابة بالصوتين المتنافرين فهي متوسطة بينهما ؛ إذ تلتقي مع الباء في المخرج ، ومع النون في الصفة»[2].

فهذا الإبدال هو وسيلة استعان بها النطق العربي لتحقيق النطق السليم و تجنب المركبات الصوتية المجهدة.

ومن الظواهر التي استعان بها الناطق العربي للفرار من الثقل وعسر النطق ظاهرة القلب وهي تحويل أحد الأصوات الأربعة الهمزة أو الألف أو الواو أو الياء إلى آخر منها؛ بحيث يختفي أحدهما ليحل محله الآخر؛ ليجانس ما قبله كقلب الهمزة الفاً إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة ؛ الأولى مفتوحة و الثانية ساكنة نحو :آمن أصلها أَأْمن، وقلبت الهمزة ألفاً لأن الناطق العربي يكره النطق بهمزتين متتابعتين ؛ لأنهما يكلفانه جهداً عضلياً مضاعفاً في النطق ،لذلك لجأ إلى قلب الهمزة الثانية ألفاً ؛ لأن الألف تجانس فتحة الهمزة قبلها ، و الأمر نفسه حدث مع همزة الفعل "أوتي" الثانية، فأصلها أُأْتي و مع همزة " إيمان" لثانية ، فأصلها إِئْمان .

---

[1]- ينظر: عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3،1988م، 4 / 453.

[2]- ظواهر التشكيل الصوتي ، ص 21

ومن الظواهر التي استعان بها الناطق العربي أيضا للتخلص من عسر النطق الحذف مثل حذف الواو الواقعة بين الياء و الكسرة في مضارع الأفعال:" وعد، وزن ، ورد "التي ننطقها يعد ويزن و يرد, و أصلها يوعد و يوزن و يورد... أما العلة الصرفية فتكمن في الثقل النطق بالواو في هذا الموضع لأنها في الأصل مستثقلة, و قد جاورها ما يزيد في ثقلها, و هما الياء و الكسرة ، لذلك خففواْ الثقل باللجوء إلى الحذف ، ولم يجز حذف الياء؛ لأنها حرف المضارعة وحذفها يخل بمعناها. مع كراهية الابتداء بالواو ، و لم يجز حذف الكسرة لأنه بها يعرف وزن الكلمة ، فلم يبق إلا حذف الواو وكان أبلغ في التخفيف لكونها أثقل من الياء ومن الكسرة"[(1)].

ب–المجاورة الصوتية

ومن أسباب حدوث الإبدال و الإعلال التجاور الصوتي. الذي يحدث تفاعلا بين الأصوات ، ويتمثل هذا التفاعل في تأثير بعضها في بعض. فالصوت قد بفقد بعض خصائصه أو يكتسب غيرها نتيجة تأثره و تأثيره فيما يجاوره من أصوات ؛ فإذا أخذنا على سبيل التمثيل صوت النون... فإننا نجذ سبع صور نطقية له ؛ تختلف إحداها عن الأخرى تبعاً للصوت المجاور ، فالمعروف عن النون في صورته الانفرادية أنه صوت لثوي ، فإذا تلاه صوت " الباء" فانه يقدم لمخرجه إلى الإمام فيصبح شفهيا و يكون شفهيا أسنانا إذ تلاه صوت الفاء و هكذا" [(2)].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 34 .

[2]- أحمد طيبي ، وظيفة الاقتصاد المورفولوجي في التواصل اللساني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان السنة الجامعية 2002 – 2003 ، ص 20.

ويرجع هذا التفاعل القوة أو الضعف في صفات الصوت؛ فإذا كان الصوت يمتلك بعض الصفات كالجهر والإطباق والاستعلاء، أو التفشي أو القلقلة إلى جانب صوت مهموس متفتح مستفل فهو أقوى بجهره واستعلائه ، وإطباقه... الخ. أما الصوت الذي يجاورهٌ ضعيف ، كالتاء و الأصوات الأربعة المطبقة في صيغة " افتعل " الصاد والضاد والطاء والظاء فهي أقوي من التاء رغم تقارب المخرج بينهما, لذلك أبدل التاء بصوت من مخرجه يتناسب مع هذه الأصوات في القوة.

وهذا ما ينطبق أيضا على أصوات العلة ، الألف والياء والواو والهمزة ، فالتأثر بينها في حالة النطق راجع إلى الخفة و الثقل ؛ فالصوت الأخف هو الأكثر تأثيراً لذلك يقلب الصوت الأثقل إلى الأخف منه ؛ فالألف أخف من الواو والياء في النطق ، و هذه الخفة تعود إلى الا تساع في مخرجها أكثر من الواو و الياء[1]. لذلك علَّل بعض الصرفيين قلب الواو و الياء إلى ألف في" كساء ، و سقاء" ، أصلهما كساو سقاي ، ثم قلبت الألف همزة فكان الأحرى أن تقلبا همزة مباشرة ، ولكن لجؤواْ إلى الألف أولاً فصارتا كسا و سقا [2]، فلما تعذر النطق به قلبوه همزة . وإنما بنواْ رأيهم على هذا التعليل لسببين : الأول لأن الألف تجانس فتحة السين والقاف في كساء و سقاء والحاجز الوحيد بينهما هو الألف ، فتعذر الجمع بين صوتين متماثلين ساكنين لا يقبلان الحركة . و السبب الثاني هو : أنهم فكرواْ في أقرب الأصوات إلى الياء و الواو فوجدواْ الألف ، و لما تعذر الألف ، بحثواْ عن الصوت الأقرب إلى الألف فوجدواْ الهمزة[3]، والياء

---

[1]- ينظر سر صناعة الإعراب ، 88/1.
[2]- ينظر المصدر نفسه ، 1069/1-107.
[3]- ينظر المصدر نفسه ، 88/1.

أخف من الواو ؛ لذلك قلبت الواو ياءً في "ليَّة ، و طيَّة ، و سيِّد ، و ميِّت ، و أصلها لَوْيَة ، و طَوْيَة ، سيْوِد ، و ميْوِت ؛ فالياء أخف في النطق من الواو ، فلو قلبت الياء واواً ، وأدغم الواو في الواو ، لكان أثقل على اللسان ، و لكان قد استكره ؛ لذلك قلبواْ الواو ياءً ، و أدغم الياء في الياء ، و قالواْ : ليَّة وطيَّة سيِّد و ميِّت ، و ليس: لوَّة طوَّة و سوُّد و موُّت[1].

ج- الميزان الصرفي:

تعريف الميزان الصرفي

ومن أسباب حدوث الإبدال والإعلال الميزان الصرفي ، ويُعَرَّفُ بأنه: «معيار من الحروف ، نعرف به عدد حروف الكلمة ، وترتيبها ،وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات . ولما كانت بعض المفردات العربية تعد فيها بعض الحروف أصولاً وبعضها زوائد ، وبعضها الآخر عدّت فيها الحروف كلها أصولا، كان لا بد من عيار يحدد لنا مكان الحرف الأصلي ومكان الحرف الزائد في الكلمة؛ ليسهل معرفة أصلها الاشتقاقي أو المعجمي ، ولما كانت معظم الكلمات المجردة أسماء وأفعالاً في العربية ثلاثية بني الصرفيون أصول الميزان على عيار ثلاثي هو الفاء و العين و اللام ، وهي الحرف الأول من الكلمة والعين تقابل الحرف الثاني من الكلمة واللام تقابل الحرف الثالث»[2].

علاقة الميزان الصرفي بالإبدال و الإعلال:

---

[1]- ينظر: موفق الدين بن يعيش(ت643هـ)، شرح المفصل ،إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، 23/10.

[2]- يوسف السحيمات ، مدخل إلى الصرف العربي ، مركز يزيد للنشر الاردن ط5 ، 2005 / 2006 ص 09.

إذا كان الإبدال و الإعلال لا يحدثان في الكلمة إلا مع مجموعة محددة من الأصوات المتجاورة ، فإن هذا التجاور الصوتي لا يحدث إلا وفق توزيع معين للأصوات. وهذا التوزيع يفرضه ميزان محدد لهذه الكلمات ؛ فلا يمكن للكلمة في السياق إلا أن تكون على وزن من الأوزان التي حددها الصرفيون ؛ سواء أكانت هذه الأوزان مطردة أم شاذة ، قياسية أم سماعية ،عربية أم مُعَرَّبة، فالصيغة قد تكون مفرداً فتتحول إلى جمع ، أو تكون مجردة فتتحول إلى مزيدة ، أو قد تكون مصدراً فتتحول الى فعل أو العكس ، أو قد تكون فعلاً فيتحول إلى أحد المشتقات (اسم فاعل ، اسم مفعول ، صفة مشبهة ...) وهذه التحولات الصرفية محكومة بتلك الموازين. فالتوزيع الصوتي في الصيغة يتحكم فيه الميزان الصرفي ؛ فلولا الميزان الصرفي ، لما حدثت بعض المجاورات الصوتية ، وبالتالي لما حدث إبدال أو إعلال. فمثلا لو لا وزن "افتعل" في "اصطبر" لما جاورت التاء والصاد ولما أبدلت التاء طاء ومثله إبدال التاء دالا في "ازدجر" ولو لا صيغة منتهى الجموع في خطايا لما قلبت لهمزة ياء ولو لا وزن "المفعول" لما قلبت الواو ياء في "مرضي" وهكذا.

د–الوقف

و من العوامل المسببة لحدوث الإبدال والإعلال الوقف. و من مقاصد الوقف عند العرب الاقتصاد في الجهد العضلي ؛ إذ أن الوقف على الحرف أسهل من تحقيقه" وقد استدعوا الإبدال طلباًا للسهولة والتيسير ، كإبدال التاء هاء نحو قوله : "نار حاميهْ " وإبدال التنوين ألفاً نحو: رأيت زيدا.

9– القوانين الصوتية للإبدال والإعلال عند النحاة:

لقد عرفنا من تتبعنا لبعض مظاهر الإبدال والإعلال أن إحضار صوت بديل ثالث هو بغرض إحداث التماثل و التجانس بين الأصوات

؛أي إن هناك قوانين تقف وراء الظاهرتين. و أشهر هذه القوانين : قانونا المماثلة و المخالفة ، ويسميها المحدثون بالظواهر التوازنية ؛ لأن اللغة تلتجئ إليهما لإحداث التوازن و التوافق بين عناصرها ، إذا حدث اختلال فيما بينها داخل البنى الصرفية .

أ – المماثلة:

وقد أدرك القدماء هذا القانون، وذكروه في مؤلفاتهم بأسماء مختلفة كالتقريب. والمضارعة ، والإدغام؛ ذكرها ابن جني في كتابه "الخصائص" و كان يقصد بها المماثلة:

التقريب" يقول ابن جني :« ومنه تقريب الحرف من الحرف ، نحو قولهم في نحو مَصْدر: مَزْدر ، وفي التصدير: التزدير. وعليه قول العرب في المثل "لم يُحْرَمْ منْ فُزْد لَهُ أصله فُصِدَ له ، ثم أسكنت العين على قولهم في ضُرِب: ضُرْبَ وقوله: ونفخوا في مدائنهم فطاروا فصار تقديره: فُصْدله ، فما سكنت الصاد فضعِّفت به وجاورت الصاد –وهو مهموسة– الدال – وهي مجهورة– قربت منها بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر.ونحو من ذلك قولهم: مررت بمذعور وابن بور: فهذا نحو من قيل وغيض لفاظًا ، وإن اختلفا طريقًا.»[(1)].

الإدغام الاصغر :قال ابن جني:« وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك. ...ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً ، فتقلب لها تاؤه طاء ، وذلك نحو: اصطبر واضطبر واضطرب واطرد واظطلم.»[(2)].

---

[1]- عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، دت، 2 / 146

[2]- المصدر نفسه ، 143/2 .

المضارعة : يقول ابن جني : « ومن ذلك أقعد الثلاثة في المدّ لا يسوغ تحريكه، وهو الألف، فجرت لذلك مجرى الحركة، ألا ترى أن الحركة لا يمكن تحريكها. فهذا وجه أيضًا من المضارعة فيها..»[1]، وذكر سيبويه المماثلة بلفظ المضارعة بقوله : « وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زياً خالصة ، كما جعلواْ الإطباق ذاهباً في الإدغام. وذلك قولك في التصدير: التزدير ، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت. وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد ، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسرواْ على إبدال الذال صادا ، لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل. والبيان عربيٌّ. فإن تحركت الصاد لم تبدل ، لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال ، إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة ، ولكنهم قد يضارعون بها نحو صاد صدقت. والبيان فيها أحسن. وربما ضارعواْ بها وهي بعيدة، نحو مصادر، والصراط ؛ لأن الطاء كالدال، والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم: صويقٌ ومصاليق ، فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في: صقت ونحوه. ولم تكن المضارعة هنا الوجه ، لأنك تخل بالصاد ، لأنها مطبقة، وأنت في صقت تضع في موضع السين حرفاً أفشى في الفم منها للإطباق ، فلما كان البيان ههنا أحسن لم يجز البدل. فإن كانت سينٌ في موضع الصاد وكانت ساكنةً لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه: يزدل »[2].

ب – المخالفة :

---

[1]- المصدر نفسه ، 2 /321 .

[2]- الكتاب ، 4/ 478 .

أشار النحاة – قديما – إلى هذا القانون وعبروا عنه بمصطلحات مختلفة مثل:

كراهية التقاء الهمزتين: ذكره ابن جني بقوله :« فأما ما لا بد منه فأن تلتقي همزتان مفتوحة والثانية ساكنة ، فلا بد من إبدال الثانية ألفا ، وذلك نحو آدم ، وآخر ، وأمن ، وآوى ، وآساس جمع أس ، وآياء جمع آية وآي ، فهذا إبدال لازم كراهية التقاء الهمزتين في حرف واحد ، وإذا أبدلت الهمزة على هذا جرت الألف التي هي بدل منها مجرى ما لا أصل له في همز البتة ، وذلك قولهم في جمع "آدم": و"أوادم" فأجروا ألف "آدم" مجرى "ألف" "خاتم" فقلبوها واوا في "أوادم»[1].

كراهية التضعيف: و ذلك في قوله : « ومن ذلك قولهم "تظنّيت" وإنما هي "تفعّلت" من الظن، وأصلها "تَظَنْنتُ" فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف.»[2].

كراهية التقاء المثلين: يقول ابن جني في "الخصائص : « ذلك نحو الحيوان ألا ترى أنه عند الجماعة –إلا أبا عثمان– من مضاعف الياء وأن أصله حييان فلما ثقل عدلواْ عن الياء إلى الواو. وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك. وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القوية الناهضة يكره عندهم حتى يبدلواْ أحدها ، ياء نحو دينار وقيراط وديماس وديباج "فيمن قال: دماميس ودبابيج" كان اجتماع حرفي العلة مثلين أثقل عليهم. نعم ، وإذا كانوا قد أبدلواْ الياء واواً كراهية لالتقاء المثلين في الحيوان فإبدالهم "الواو ياء" لذلك أولى بالجواز وأحرى. وذلك قولهم: ديوان ... فلما صار دوان إلى ديوان فاجتمعت الواو

---

[1]- سر صناعة الإعراب ، 2 / 305 – 306 .

[2]- المصدر نفسه، 2/ 383 .

والياء وسكنت الأولى هلا أبدلت الواو ياء لذلك، لأن هذا ينقض الغرض»[1].

إلا أن الصرفيين القدماء لم يتعاملواْ مع المماثلة و المخالفة على أنهما قانونان عامان ، و إنما قصروهما على أمثلة محدودة ، في لمحات سريعة في مواضع متناثرة في كتبهم . وكان أول من تعرض لها سيبويه في كتابه ،ثم جاء ابن جني من بعده ، و عالجهما بشيء من التفصيل في كتابه "الخصائص ".

10- خاتمة

من خلال ما تقدم يمكن استنتاج مايلي:

- **إن المقري بتتبعه لظواهر الإبدال و الإعلال في القرآن الكريم يكون قد أخرجها من المجال النظري الذي عالجها في إطاره كثير من النحاة القدامى إلى المجال التطبيقي، وإن كان لم يفرد لها بابا خاصا.**
- **أن لنحاة القدامى أدركواْ أن أسباب حدوث الظاهرتين صوتية محضة ؛ أي إنهما تحدثان نتيجة مجاورة الأصوات لبعضها البعض في السياق ، فيؤثر أحدها في الآخر إما بالتجاذب أو التنافر. وأن وراء حدوثهما قوانين صوتية اصطلح عليها حديثاً المماثلة والمخالفة . غير أنهم سموها بتسميات مختلفة كالمضارعة و التقريب.**

[1]- الخصائص ، 3 /20 .